بنفسه لا عن الناس : أمك . سكينة . البرعى . أم عباس . حتى أنت . كل واحد : أنا . وملعون أبو الدنيا . سمك . سمك يأكل بعضه . الدنيا مثل البحر . محمود سيفكر في نفسه أو فيك . أنا أحببته جداً . كان معه (شنطة) فيها كتبه وملابسه كذا «غيار» ولا يحافظ عليها . وكنت أقول له :

– نزل (الشنطة) عند عم علي . اولاد الحرام في اللوكاندات كالنمل .

أنا طبعاً لا أمد يدي إليها . صحيح أنني لا أملك سوى غيار واحد . لكن . لا أسرقه . من يسرقه أقطعه بأسناني . تنقطع اليد التي تسرقه . آه . محمود سافر وتركك وحدك للأرجل تدوسك ! !

كله من امي . أمي . والبرعى ، والمعلم . ظلم . ظلم أن تعيش في بلد مقلوب حاله . الموت أحسن . لو كنت خشباً كنت قطعت نفسي بالقدوم . كوبري قصر النيل ، البحر تحته واسع ! ! لكن . ربما لا يراك أحد . لا أريد أن أنقذ من الموت . أريد فقط ، أن تنشل جثتي وتدفن ؛ ربما لا يعثر عليها الناس . لا ؛ الترمواي أفضل . لكن رقبتك ستقطع . والناس ستتفرج عليك ستحرم من عينيك . ولن ترى . ولن تسمع الكلام . و.. سكينة . وأن تمشى . وأن تنام وتصحو . الدنيا عزيزة . كيف تتركها حتى ولو كنت فيها ليمونة . وكانت فيها أمي . والبرعى . والمعلم . السرقة أفضل . اسرق وعش . تسجن . تتشرد . لا يهم . المهم أن تعيش . لكن . من تسرق ؟ المعلم ؟ عنده خزانة حديدية لا تفتح ، اللوكاندة ؟ على الشارع . لا أحد تسرقه . ليست هناك فرصة . فتعش كما يكون . من اللوكاندة للورشة . ومن هناك إلى هنا . هنا ؟ هه . تنجر . و.. سندويتش . وتنام . وتنجر . وتحـ..س .. الد .. ة .. يا .. يا .. آااخ ... س »

**

كانت الدنيا ساكنة تماماً عندما استيقظ قنديل قبيل الفجر بقليل : الترام . السيارات . الأرجل الكثيرة . المحلات المغلقة . صمت ساحق ذلك الذي يسود شارع (كلوت بك). مصابيح الطريق . كركرة عربة (كارو) وأرجل الخيل . طرقعة قباقيب العجائز وتمتماتهم في طريقهم إلى المسجد الأحمر . هذه فقط كانت بشائر يوم آخر كسائر أيام قنديل .. كانت ساقه اليمنى مثنية إلى فخذه ، واليسرى ممددة من تحته . كما لو أنه لم يتقلب مرة في نومه . وبدأت ساقه اليمنى تروح وتجيء في كسل وصحصحة أيضاً . وكان في رأسه ذلك الوعى وهذا الشتات اللذان يمارسهما من يستيقظ من نوم عميق . وطوى قنديل اللحاف بين ساقيه وذراعيه . وأخذ يضغط عليه في حنان ..

« .. هيه . يوم آخر . كرهت النجارة . وكرهت نفسي . وحدة . تكرار صرفت كثيراً في أحلامي . كانت معي سكينة . وعندما ضممتها إلي وجدتها المعلمة « فتوحة » .. هه . تخاريف . أشعر بالجوع . كأن قلبي يغور ويسقط في بطني . عصافيرها طائرة . سأذهب بدون فطور . ربما يعطيني صاحب الورشة على الحساب ما أفطر به منذ زمان .. وأنا لا أشرب شاياً في الصباح . تفرج ، لا أحد يموت من الجوع . يظهر أن أحداً قد نام معك الليلة ، دون أن تدري به .. هس .. هذه الأنفاس ... »

وشبك قنديل أصابعه خلف رأسه ، ورفعها قليلا إلى خلف ..

« .. شخص آخر في سرير محمود . بارد . لماذا ينام مكانه ؟ أوه . يبدو أنه محمود. (توكة) حزام بنطلونه تلمع على ضوء عمود النور . بنطلون محمود البني . هو بالتأكيد . لماذا عاد ؟ فرجت يا قنديل . ما عليك إلا أن تنتظر حتى يسير أول ترمواي في الشارع . سيعطيك ما تفطر به . إنه

– التتمة على الصفحة ٩٤ –

[يولد الانسان أغنى منه يوم يموت]

« يوميات مراهق »

أقسمْ
بالشمسِ تُشرقُ ثم تُعتمْ
بأبي ، أبيكِ ، وبالذي في الصمتِ باسمينا يغمغمْ
ولدي ، بغرس يدي ، بمن في عامه الثاني يُتمتمْ
لم يدر من هي أمه ، وأبوه ، أيهما يُكلمْ
هو والخطيئةُ في دَمي ، نشأا معاً ، واتتْ تتممْ
وترعرعا في ليلِ عارٍ قاتلٍ كاللحدِ مظلمْ
أبلا أبٍ هو أم بلا أمٍ ، يكادُ الشكُ يُلجمْ
كلُ الصغارِ لهم أبٌ ، فعلام أخطأه المقسِّمْ ؟

* * *

وتظل في عينيهِ ، تَصرخُ حيرةٌ أبداً تترجمْ
متلفتاً أبداً اليَّ ، اليك في قلقٍ يُهدّمْ
متصفحاً عنا وجوهَ الناس ، يدنو ثم يحجمْ
لا يا صغيرُ ، أصبتَ ، لا ، أخطأت أمك لا تُعلمْ
غلبتْ الدموعُ بناظريكَ فقلْ لكفلكَ أن تلملمْ
لم تفش سرَّ خطيئةٍ زلّتْ بها يوماً لتأثمْ
عشقتْ أباكَ وخانها ، فهوتْ ، وكان يظنُ أغرمْ

: : : : :

ذاكَ الصغيرُ أنا أبوه ، أيدري أن أباهُ مُجرمْ ؟

بغداد

صفاء الحيدري